

الباب الثامن

التربية الدينية

وظيفة الدين في حياة الفرد وحياة المجتمع :

(١) تمهيد :

تعرضت الحياة البشرية في مختلف أطوارها لكثير من ضروب المحن وألوان الشقاء ، اقتضتها حدّة المنازعات والحصومات بين الناس ؛ لاشتباك مصالحهم ، وتعارض أطماعهم ، ورغبة كل منهم في الغلبة والسيادة . والاستئثار بالنافع ، فتأججت بينهم نار العداوة ، وشبت الحروب . وبغى القوى على الضعيف ، واستبد ذوو الجاه والسلطان ، وضربت الذلة والمسكنة على فريق من الناس لا ذنب لهم إلا أنهم عاجزون عن مصالوة الأقوياء الطغاة ، وأنهم يخضعون في حياتهم إلى أنظمة فاسدة ، وقوانين وضعية ظالمة ، حرمتهم كثيراً من حقوقهم الطبيعية في أن يحيوا حياة كريمة تليق بالإنسان ، وتعرضت الحياة البشرية — كذلك — لألوان أخرى من الفساد والضلال ، حين عميت على الناس مذاهب التفكير في هذا الكون الذى يعيشون فيه ، فراحوا يخبطون على غير هدى . تقودهم عقولهم القاصرة إلى أنواع من العقائد الفاسدة ، والعبادات الباطلة ، وتزين لهم الألوهية في بعض الكائنات السماوية أو الأرضية ، وتفسر لهم علاقة الإنسان بمجتمعه تفسيراً خاطئاً يجافى القيم الخلقية الصحيحة ، ويهدر المبادئ العادلة ، ويقيم هذه العلاقات على أسس من البغى والظلم والطغيان .

وهكذا شقيت الإنسانية . وحفل تاريخها بالكوارث والويلات ، ولكن الله تعالى ، بارئ هذا الكون . ومدبر أمره ، شمل عباده بفيض من رحمته ، فبعث فيهم — على فترات من الزمن — رسلاً منهم . يهدونهم إلى الحق ، ويصرونهم بالخير ، ويأخذونهم بدين سماوى ينظم علاقتهم بخالقهم ، ويرسم لهم المبادئ القويمة التى تكفل لهم الأمن والسعادة ، وتجنّبهم الشقاء والمذلة والهوان .

وعرف الناس في هذا التشريع السماوى الحكيم الأمن والهداية والخير ، إذا تمسكوا به ،

وأخلصوا له ، فإذا انحرفوا عنه ، وتنكروا له ، فسدت حياتهم . وذاقوا وبال أمرهم .
وهكذا تجلّى للناس أثر الدين فى حياتهم ، وأنه مصدر سعادتهم أفراداً وجماعات .

(ب) وظيفة الدين فى حياة الفرد :

١ - الدين يسمو بعقل الفرد ويرجّحه إلى التفكير السديد فى الكون ومظاهره ، والاعتبار بما فيه من آيات باهرة ، تنطق بأنّها صنع قدرة معجزة خارقة ، هى قدرة الإله الحكيم . رب هذا الكون وخالقه ومبدعه .

٢ - والدين يشيع فى النفس المؤمنة الخشوع لله . والرغبة فى ثوابه ، والخوف من عقابه ، فتسلك طريق الهدى والرشاد ، وتناهى عن سبل الغواية والضلال . تراقب فيما تأتى وفيما تدع ذلك الوازع الدينى الذى يتمثل فى أطواء النفس ضميراً حياً شريفاً ذا قوة وسلطان .

٣ - والدين يرسم للفرد المبادئ المثالية التى تهذب النفس وتصنق الروح ، وتقوم الخلق ، وتصون الجسم ، فتجد فى ظلال هذه المبادئ السعادة النفسية والحسية .

٤ - والدين يدعو إلى رياضة العقل . وإعمال الفكر فى حرية وسعة ، وهو بهذا يهيئ للفرد مجالات ينتفع فيها بهذه النعمة الإلهية التى آثر الله بها الإنسان دون غيره من المخلوقات .

٥ - والدين منار الفرد يكشف له سبيل الخير والرشاد وهو - - كذلك - دستور الحكيم ، يحدد حقوقه وواجباته . وينظم علاقته بخالقه . وعلاقته بأسرته ومجتمعه .

وظيفة الدين فى حياة المجتمع :

١ - يتكفل الدين بصلاح الفرد ، وفى صلاحه صلاح المجتمع ، فليس المجتمع إلا مجموعة من الأفراد .

٢ - يفرض الدين على كل فرد طائفة من الواجبات يؤدىها لمجتمعه فيرفر له أسباب الحياة السعيدة ، ويسهم فى بنائه على أسس قوية سليمة . فعلى الفرد ألا يخرج عن الجماعة . وألا يشق عصا الطاعة ، وأن يتعاون مع أبناء جنسه ، وأن يكون عنصراً إيجابياً فى وحدتهم وقوتهم . وألا يرضن بفضل ما له على المحتاج منهم ، وأن يرمى حق الحوار ،

وأن يكف يده ولسانه عن أذى الناس ، وأن يطيع ولاية الأمر ، وغير ذلك من المبادئ التي تحفظ المجتمع . وتبهي له سبيل القوة والعدالة والسعادة .

٣ - الدين من أقوى الروابط التي تؤلف بين القلوب ، وتدعم الوحدة ، وتخلق من المجتمع قوة متماسكة ، يخشى بأسها ويرهب جانبها ؛ لأن هذه الرابطة الدينية إنما تستمد قوتها من امتزاج الأرواح وإخلاص القلوب ، وتعاونها في سبيل غاية روحية سامية ، يهيم بها الوجدان ، وتهفو إليها الأفئدة ، لانتشوبها الأكدار المادية ، والأطماع الدنيوية .

٤ - قد تمتحن الجماعة بلون من الآفات الاجتماعية ، أو الأزمات السياسية ، أو المحن الخلقية ، تخلفها النزاع الجاحمة ، والأهواء الجائرة ، وتحقق التشريعات الوضعية في حسم المشكلة . والاهتداء إلى الحلول الناجعة ، وحينئذ تجد هذه الجماعة في مبادئ الدين وأصوله البلسم الشافي لهذه الأدواء . فلا تكاد تلوذ بدينها حتى تجد فيه عاصمة ووقاء ، فيجتمع شملها . وينتظم أمرها ، وترد إلى معالم الهدى والصلاح .

مكانة التربية الدينية :

للتربية الدينية المكانة الأولى ؛ لأنها التربية الكفيلة بتقويم الناشئين ، والسمو بهم وإسعادهم في مستقبلهم .

وهي التربية التي تركزى قلوبهم . وتظهر نفوسهم . وترعى ضمائرهم . وتطبعهم على حميد الخصال ، وتدفعهم إلى نبيل الفعال .

وهي التربية التي تعصمهم من النزوات النفسية . وتحميهم من سلطان الميول الجاحمة ، وطموح الأهواء المرديّة .

وهي التربية التي تنير للناشئين طريق الصلاح والهدى ، فيحرصون على طاعة ربهم ، وقيام علاقتهم بأبناء المجتمع على أساس متين من الحب والتعاون والمناجحة الخالصة .

وهي التربية التي تكون من أبناء الوطن قوة متماسكة ، لاتعصف بها المحن والخطوب ، ولاتنال منها الكوارث والشدائد ؛ لأنها قوة مستمدة من ائتلاف القلوب ، وامتزاج الأرواح .

وهي التربية التي خلقت من العرب أمة وثابة ناهضة ؛ ثلت عروش القياصرة ، ودكت صروح الأكاسرة . وحملت نور الإسلام ، فأضاء العالمين .

وسائلها :

لهذه التربية وسائل كثيرة ، ومواطن متعددة . وفرص تتجدد بين حين وحين ، وسندكر فيما يلي بعض هذه الوسائل :

- ١ - التعليم الدينى الذى تحدد له الموضوعات . وترسم المناهج . وستحدث عنه فى موضعه .
- ٢ - القدوة الحسنة التى تنهياً للناشى فى والديه وإخوته ومعلميه .
- ٣ - تهيئة الجو الدينى الصالح فى جميع البيئات التى يعيش فيها التلميذ ، مثل البيت والمدرسة .
- ٤ - صلاح المجتمع وتمسكه بأصول الدين ، وحماسه لنصر الفضيلة . ومحاربة الرذيلة .

التعليم الدينى

هو من الوسائل التى نعتمد عليها فى تربية الناشئين تربية دينية ، وقد استرد مكانته السامية بين مواد التعليم وأصبح مادة أساسية فى جدول الامتحان ، ونطمع فى أن تكون النهاية الصغرى للدين ٥٠٪ وأن يكون النجاح فيه شرطاً أساسياً لانتقال التلميذ كاللغة العربية (١)

أسسه :

نقصد بهذه الأسس طائفة من المبادئ التى تجب مراعاتها فى تخير موضوعات الدراسة الدينية ، وطريقة معالجتها مع التلاميذ ؛ حتى لانحرف عن الطريق السوى ، أو نصطدم بعقبات تحول دون الغاية المنشودة . ومن هذه المبادئ :

- ١ - أن الدين الإسلامى عقيدة ومعرفة وسلوك ، وهذا المبدأ يقتضى تنوع المناهج الدراسية ، واشتغالها على هذه الألوان الثلاثة فى كل صف من صفوف التعليم ، حتى يربى التلميذ تربية دينية متكاملة .

(١) يطبق هذا النظام الآن فى امتحانات النقل وامتحان الشهادات .

٢ - أن كثيراً من الأحداث العامة والمواقف الحيوية التي تتعلق بها أذهان التلاميذ مجال طيب لإثارة العاطفة الدينية في نفوسهم ، وهذا يدعونا إلى أن نربط دائماً بين موضوع الدرس والحياة ، وأن نفسر مشكلاتها ونلتمس لها الحلول في ضوء التعاليم الدينية . والذين قد تناول حياة الإنسان من حيث هو فرد ، ومن حيث هو عضو في أسرة ، وعضو في حي ، وعضو في وطن ، وعضو في الجماعة الإنسانية .

وفي هذه المجالات جميعها مواقف كثيرة متجددة ، من الواجب أن ينتهزها المدرس . ويربط بها دروس الدين ؛ فهذا أجدى في إثارة العواطف الدينية لدى التلاميذ ، وجذب انتباههم إلى التعاليم الدينية ، والانبعاث عنها إلى سلوك حميد رشيد .

فإذا نشرت الصحف مثلاً أن فلاناً قد تبرع بكذا من أمواله لإنشاء مسجد أو مستشفى أو مدرسة ، كان في هذا المثال مادة صالحة لدراسة البر ، والعمل لمصلحة الجماعة . وإذا عرف أن أسرة نكبها الدهر بموت عائلها ، أو احتراق متجرها ، فعطف عليها أناس من ذوى القلوب الرحيمة ، كان في هذا أيضاً مجال للحديث عن التعاون الإنساني ، وأثره في تخفيف الويلات ، وفي وحدة القلوب وسيادة الألفة والمودة .

وإذا روت الصحف مثلاً أن بعض التجار يلجئون إلى الغش أو الاحتكار ، أو المبالغة في رفع الأسعار ، لإشباع جشعهم وطمعهم ؛ اتخذ المدرس من هذا المثال مادة خصبة لدرس في الخلق الاجتماعي . . . وهكذا ،

٣ - الموضوعات المقررة في المنهج ليست إلا نقط ارتكاز ، وللمدرس أن يصدر عنها إلى آفاق بعيدة ، يرى في ارتيادها مع تلاميذه تنمية للروح الدينية ، وإيقاظاً للمشاعر الوجدانية .

٤ - التقليد غريزة تتحكم في سلوك الفرد ، والتلميذ - بحكم هذه الغريزة - يقلد ما يراه ، يقلد الحسن ، ويقلد القبيح ، ومن هنا يأتي دور التربية الدينية ، ومن مهمتها أخذ التلميذ بالسلوك الحميد ، وهذا السلوك لا يكتب بسرد المواعظ وإلقاء الأوامر ، ولا يحصل بالحفظ أو التلقين ، وإنما يكتب بالقوة الصالحة ، والمثل القويمة مع الرقابة الحازمة الواعية ، وقد تحقق المعارف الدينية في تهذيب السلوك ، إذ ليس من المحتم أن يكون صادقاً من يعرف فضل الصدق ، ولكن قل أن تحقق القدوة الطيبة في هذا المجال ، فإذا نجحت المدرسة - إدارتها ودرسوها وجميع العاملين بها ، في ألا تقع عيننا التلميذ إلا على كل مظهر حسن ،

ولا تتلقى أذناه إلا كل لفظ شريف مهذب، ولا ينمو رصيده من المشاهدات والمدرجات إلا بكل تصرف عادل، وكل عمل مخلص مفيد — إذا نجحت المدرسة في هذا فقد وفرت لتلاميذها مثلاً طيبة تؤتي ثمارها في اقتدائهم بها، وتمثلهم لها. والقذوة تجعل الصور المتخيلة للقيم السامية، والمبادئ المثلى معروضة في صور واقعية. ومن هنا يبرز جمال المبدأ في جمال المثال، وهذه أجمل صور الإغراء، والحمل على الاقتداء. وانصراف المدرس عن المثل التي يدعو إليها يحطم هذه المثل، ويعصف بها.

٥ — أن كل تلميذهما تكن سنه. مزود بعاطفة دينية هي موضع اعتزازه وتقديسه، وليس من الهين على التلميذ أن يتهم في هذه العاطفة: فقد يهون عليه أن يرمى بالكسل أو القصور، ولكنه يغضب ويثور إذا حاول أحد أن ينتقص من عاطفته الدينية، أو أن يجعلها موضع الشك والارتياب.

والتسليم بهذا المبدأ يفيدنا كثيراً في دروس التربية الدينية، فنحن نضمن النفاذ إلى قلوب التلاميذ واستثارة حماسهم لنوع من السلوك عن طريق هذه العاطفة الدينية، نذكها في نفوسهم، ولا نضمن شيئاً من هذا النجاح إذا لجأنا إلى الصرامة والزجر والتهديد. شكنا إلى أحد المدرسين أن تلاميذ الصف الثالث الثانوي زاهدون في التربية الدينية، منصرفون عن درسها؛ لأنهم لن يمتحنوا في الدين، فقلت له: يبدو أنك تدرس لهم الدين على أنه مادة كسائر المواد، وأن الغاية منه إنما هي الحفظ والإمام والتحصيل؛ اترك هذا الأسلوب، واجأ إلى إثارة العاطفة الدينية في نفوس هؤلاء التلاميذ، وانظر — بعد ذلك — كيف يقبلون على الدرس ويشاركون فيه. ابدأ درسك التالي بهذه الجملة مثلاً: أعداء الدين الإسلامي يهيمونه بكذا وكذا، ويقولون فيه كذا وكذا، فتعالوا ناقش هذه التهمة، قل هذه الجملة، وراقب وقعها في نفوسهم.

وأشهد أن هذا المدرس حينما جرب هذا الأسلوب، وعالج الأمر على هذه الصورة، اطمأن باله، وانشرح صدره؛ فقد رأى تغيراً وانقلاباً في موقف التلاميذ من درسه، ووجد في كل منهم محامياً يذود عن دينه، ويدفع عنه كيد أعدائه، وتجلت عواطف التلاميذ في تناولهم للموضوع تناولاً يقوم على البحث والمناقشة في حماسة ومشاركة.

وهذه تجربة أخرى مررت بها، كنت أدرس الدين لأحد فصول الصف الثاني الثانوي، ولم يكن الدين وقتئذ من مواد الامتحان. وقد عودت التلاميذ أن تقطع فترة من

أول كل حصة ، نستمع فيها إلى ما حفظوه من النصوص القرآنية ، وكان بالفصل تلميذ لايميل إلى الحفظ ، ولايحاوله ، مع كثرة ما منحته من فرص للحفظ ، والاستعداد للحصص التالية ، ولما أعياني أمره قلت له : لاني أعفيك من حفظ النصوص القرآنية ، بل أعفيك من حضور حصة الدين إذا أحضرت لى خطاباً من والدك ، يطلب فيه أن نعفيك من هذه الحصة ، وأن نسمح لك فيها بأن تترك زملاءك المسلمين ، وتخرج إلى فناء المدرسة ، وهنا ثار التلميذ واحمر وجهه وتهدج صوته ، وأبى هذا العرض ، ووعد متحمساً مؤكداً أنه سيحفظ جميع ما درس من هذه النصوص ، فهدأت ثورته ، وحييت فيه هذه الحماسة ، وأذكيت تلك العاطفة ، وفي الحصة التالية أسمعنا ما حفظه . وكان يزيد على أربعين سطراً ، وتابع بعد ذلك اهتمامه بالحفظ ودأب عليه .

٦ - أن الدين ليس مادة تدرس لتنمية المعلومات ، أو لكسب المهارات ، وهو يختلف عن المواد الدراسية في أن كثيراً منها لا يثير في الطالب أية عاطفة ، ولا يشعر الطالب إزاءه بما تنفعل به النفس ، ويتحرك له الوجدان ، وذلك كالرياضة والكيمياء والنحو والجغرافية . . وغيرها ، أما الدين فهو منوط بالنفس والعاطفة والوجدان ، وفوق هذا نرى أن أكثر المواد الدراسية ، تنتهي مهمة الدارس منها بانتهاء دراستها والامتحان فيها ، ثم لا يكون لها بعد ذلك سلطان على حياته ، إلا في نطاق ضئيل ، يختلف باختلاف صلتها بالمستقبل العملي للمتعلم ، أما الدين فإن ما فيه من ألوان المعارف والحقائق ، وما يرسمه من خطط محكمة رشيدة للعمل الإنساني - يؤثر في عاطفة الطالب وشعوره ، ويمتزج بوجدانه ؛ فينفعل ويشعر ، وإذا نجح المدرس في إثارة عاطفة الطالب وشعوره ، فقد نجح في أن يتجاوز به مرحلة التأثير والإحساس إلى مرحلة السلوك العملي القويم ، وهذا السلوك يلزم صاحبه على مدى الحياة : وهو الذي يحدد شخصيته الدينية ، وعلاقته بخالته ، والمجتمع الذي يعيش فيه . فالدين روح وتأثر ، ولا يقاس نجاح المدرس بمدى ما حفظ تلاميذه من النصوص والسير والأحكام ، ولكنه يقاس بمدى ما انطبع في نفوسهم من العقائد الصحيحة ، وما انطبوعوا عليه من الاستقامة والعمل الطيب ، والسلوك الحميد .

والمعارف الدينية تفقد قيمتها إذا لم تنعكس آثارها على حياة التلميذ وتصرفاته ، وتصبح سلوكاً عملياً محموداً ، يتجلى في يقظة ضميره ، وسمو وجدانه ، وتشبهه بالفضائل ، ونساميه عن الرذائل ، ونهوضه بالواجبات الدينية في حماسة وإيمان .

وقد رأينا كثيراً من التلاميذ يحرزون درجات كبيرة في اختبارات الدين ؛ لأن المدرس يحملهم بوسائل كثيرة على الحفظ والإمام ، ولكن هؤلاء التلاميذ موضع الشكوى من مدرسي المواد الأخرى ، ومن رائد الفصل ، ومن عميد الأسرة ، ومن مراقب الرحلة ، ومراقب الحفلة ، وغيرهم ، ممن يراقبونهم ، ويختبرون سلوكهم في المواقف الحيوية الطبيعية .

فماذا أجدت تلك الدرجات العالية التي حصلوا عليها ؟ وماذا أثمرت دروس التربية الدينية في هؤلاء التلاميذ إذا كان سلوكهم بصورة معيبة شائنة ، تثير الشكوى والامتناع ؟

٧ - أن كثيراً من النفوس البشرية نافرة عنيدة ، ولعلها تأتي أن توجه إليها النصيحة سافرة مباشرة ، بل ربما يحملها العناد على أن تأتي ما تنهى عنه ، وأن تترك ما تؤمر به ، ونرى أمثلة من هذا العناد واضحة في أطفالنا .

ولهذا كانت طريقة الوعظ والإرشاد والأمر والنهي طريقة عقيمة مخنفة في حمل التلاميذ على التمسك بالفضائل وحميد العادات .

ولكن هذه النفس البشرية تلبى النداء إذا انبعث من داخلها ، وهتف به هاتف من فطنها وإدراكها ، فكيف ينبعث هذا النداء ؟ وكيف تثير هذا الهاتف ؟ إن ذلك ميسور عن طريق القصة .

فالقصة هي تلك النفس هذا الهاتف الداخلي ؛ إذ لاشك أن للقصة مغزى . وهذا المغزى يشرق في ذهن التلميذ رويداً رويداً ، فيتأثر به ، وينقاد له ، ويحرص عليه ؛ لأنه وجدته في نفسه ، وأدركه بفطنته . لم يحمله عليه شخص أجنبي . ولم يتخذ هذا الأجنبي وسيلة لبسط السيطرة عليه .

وإذن فمن الواجب الاعتماد على القصة الهادفة في دروس التربية الدينية ، ويزداد تأثير الطفل بمغزى القصة إذا مثلت أمامه .

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفهم لماذا تخفق الأحاديث الدينية والنصائح والمواعظ التي تنحدر من أفواه الخطباء فوق المنابر .

راقب جماعة المصلين وهم يستمعون إلى خطبة الجمعة : نجد كثيراً منهم منصرفين بأذهانهم عن الخطيب وعما يقرره من الأوامر والنواهي ، فإذا عرض في خطبته إلى قصة يبدؤها مثلاً بقوله : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، رأيت هذه الجماعة قد

أزهفت آذانها للخطيب تتابع القصة ، وتتدبر مغزاها .

٨- المواسم والمناسبات الدينية فرصة طيبة لتربية الوجدان الديني وإثارة مشاعر التلاميذ ، ويمحسّن أنهازها لتدريس الموضوعات المنهجية المتصلة بها، فيدرس الصوم مثلاً في شهر رمضان ، ويدرس الحج في موسم الاستعداد له ، ويقص حديث الهجرة في أوائل العام الهجري ، وهكذا .

٩- كثير من الموضوعات الدينية في منهج العقائد والعبادات والتهديب والسير ونحوها، تعززه نصوص دينية من القرآن الكريم والحديث الشريف ، فينبغي علاج هذه الموضوعات في ظلال النصوص الدينية التي تتصل بها . وأن يراعى هذا الربط في توزيع موضوعات المنهج على أشهر السنة الدراسية بحيث يدرس الموضوع متكاملًا في فترة متصلة .

وفيما يلي أمثلة من الأخطاء التي وقع فيها بعض المدارس من هذه الناحية :

(١) في المرحلة الإعدادية درست في الشهر الأول من العام الدراسي آيات الأحزاب : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم » ، ودرست غزوة الخندق في شهر مارس ، وكان ينبغي أن يتخذ من الحديث عن غزوة الخندق فرس وتمهيد لدراسة الآيات السابقة .

(ب) وفي الصف الثاني الثانوي درست الموضوعات التي تدور حول الأسرة وحقوق الزوجين وواجباتهما دراسة منفصلة، فدرست الآيات : «الرجال قوامون على النساء» . في شهر ، ودرس الحديث : ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً من زوجة صالحة ، في شهر آخر ، ودرس موضوع الأسرة في شهر ثالث ، وكان ينبغي الربط بين هذه الألوان جميعها بدراستها دراسة متصلة .

١٠- بعض التلاميذ والتلميذات يعانون مشكلات في حياتهم وتعثرهم أزمات نفسية تثير فيهم الحيرة والقلق ، وربما تعرضوا لهزات عصبية، وعواقب خطيرة إذا لم يسعفهم العلاج الذي يسكن نائرتهم ، ويشفي قلوبهم ، ويردهم إلى الاستقرار والاطمئنان النفسي ، وفي استطاعة مدرس الدين أن يقدم هذا العلاج ، وأن يشجع تلاميذه على أن يفضوا إليه بما يؤرقهم ، ويشغل بالهم ، علناً أمام إخوانهم ، أو سراً بينهم وبينه ، وعليه في هذه الحالة أن يكون لهم أباً حانياً، ورائداً حازماً، وأن يتخذ من تعاليم الدين شفاء لصدورهم المحرجة . وفي هذه الفرص يستطيع المدرس أن يحقق كثيراً من أهداف التربية الدينية .

ولإتاحة هذه القرص بصورة ميسرة بريئة من التحرج يمكن إعداد صندوق يعلق في فناء المدرسة ، يسمى صندوق المشكلات ، أو الاستشارات ، أو الاستفسارات ، أو غير ذلك من الأسماء ، يضع فيه الطلاب أوراقاً فيها أسئلتهم ومشكلاتهم ، على أن يوكل إلى مدرس التربية الدينية - بطريق التناوب - الإشراف على هذا الصندوق ، وإجابة الطلاب عن أسئلتهم إما في حصة الدين ، وإما في ندوات عامة - وإما في الإذاعة المدرسية ، وإما في أوقات أخرى إذا كان الموضوع لا يحتمل العلانية . وفي هذه الطريقة توسيع الثقافة الدينية ، وعدم الجمود على المناهج والكتب .

الغاية منه :

- ١ - بث العقائد الصحيحة في نفوس التلاميذ ، وتطهير قلوبهم من الأوهام الشائعة ، والبدع الباطلة .
- ٢ - تعريفهم بالأحكام الشرعية التي تصحح عبادتهم ومعاملاتهم .
- ٣ - غرس الفضائل والأخلاق الحميدة والعادات الصالحة في نفوسهم .
- ٤ - اقتداؤهم بالشخصيات الإسلامية التي كانت مثلاً عالياً في حميد الصفات .

وسائل تحقيق هذه الغاية :

- ١ - الإيمان بأن الدين لا تنحصر رسالته في حفظ النصوص الدينية ، أو دراسة الفضائل من الناحية النفسية ، ولكن الدين روح وتأثر ؛ ولذا يجب أن تستهدف دراسته إشاعة الروح الدينية في نفوس التلاميذ ، حتى يتأثروا بها ، وينبعثوا عنها في كل ما يأخذون أو يدعون من أمور الدنيا .
- ٢ - ربط الدراسات الدينية بالحياة : وتفسير مشكلات الحياة وأحداثها على ضوء الدين .
- ٣ - تخصيص بعض الفترات للدراسة الدينية الحرة ، فيعرض التلاميذ مشكلاتهم الدينية . ويصارحون مدرسهم بما يقلق نفوسهم من الأزمات النفسية ؛ ليشاركهم في تفسيرها وحلها .
- ٤ - العناية بالشعائر الدينية ، وأخذ التلاميذ بها عن طريق القدوة والإغراء والإشادة .

٥ - مراقبة سلوك التلاميذ في كل معرض يظهر فيه ، وتذكيرهم دائماً بالأنماط الحميدة ، وأخذهم بها ، وردهم إليها في كل مناسبة عارضة ، كالرحلات والحفلات والمباريات ونحو ذلك .

فروع التعليم الديني :

فروع التعليم الديني في المناهج المدرسية هي :

القرآن الكريم - الحديث الشريف - العقائد - العبادات - السير - التهذيب -
البحوث الإسلامية .

طريقة التدريس أولاً: في المدارس الابتدائية

القرآن الكريم :

تختلف طريقة التدريس في الحلقة الأولى من المدارس الابتدائية عن طريقته في الحلقتين الثانية والثالثة :

(١) فالطفل في الحلقة الأولى لا يزال في مرحلة تعلم القراءة ؛ وهو لذلك لا يستطيع قراءة القرآن معتمداً على المصحف ، أو الكتاب أو السبورة ، ومن ناحية أخرى ، منهج القرآن الكريم في هذه الحلقة هو سور قصيرة ، كل منها كأنه نشيد سماوى ؛ ولهذا يسلك المدرس في تدريس القرآن الكريم لهذه الحلقة الخطوات التي تتبع في دراسة الأنشيد لها :

١ - فيمهد المدرس للسورة بحديث سهل في موضوعها ، وله أن يلجأ إلى المناقشة والأسئلة فيما يستطيعه الأطفال مما يمس موضوع السورة .

٢ - يقرأ المدرس وحده السورة قراءة خاشعة متأنية ، والأطفال منصتون إليه ، ويكرر هذه القراءة مرتين أو أكثر .

٣ - يخبر الأطفال أنه سيعيد قراءة السورة جزءاً جزءاً على أن يعيدوا بعده كل جزء يقرؤه ، ثم يقرأ السورة مجزأة ، ويراقب الأطفال وهم يقرءون بعده كل جزء يقرؤه ، ويرهف سمعه لنطقهم ، ويرشدهم إلى الصواب إذا أخطئوا .

٤ - ينوع هذه الطريقة الجمعية بأن يطالب مجموعة من الأطفال بأن يعيدوا ما قرأه ثم يطالب مجموعة أخرى . . . وهكذا .

٥ - ينتقل إلى تدريب الأطفال على القراءة الفردية ، فيطلب إلى أحد الأطفال أن يقرأ بعده ، ثم يطلب ذلك من طفل آخر وهكذا .

ويغلب أن يتمكن أكثر الأطفال من حفظ السورة بعد هذه القراءات المتتابعة ، وحينئذ يطلب المدرس إلى أحد الحافظين أن يقرأ مستقلاً ، وبإثارة المناقسة بين الأطفال يمكن ألا تمضى الحصة إلا وقد حفظ أكثر الأطفال .

٦ - يناقش المدرس الأطفال في معنى السورة بأسئلة سهلة يسيرة ، وإذا كان النص

القرآن طويلاً يتسمه وحدات ، ويعالج كل وحدة بالشرح على حدة .

٧- قبل البدء في درس جديد من دروس القرآن يختبر بعضهم فيما حفظوه قبل ذلك ، للمراجعة والتثبيت .

ملاحظة :

للمدرس في الصف الثاني أن يعرض السورة على سبورة إضافية في النصف الأخير من العام الدراسي إذا أنس في الأطفال قدرة على قراءة ما يكتب على السبورة .

(ب) وفي الحلقتين الثانية والثالثة : أي الصفوف الثالث والرابع والخامس والسادس تختلف الطريقة بعض الشيء :

١ - فيمهد المدرس للسورة بالطريقة السابقة .

٢ - يعرض السورة على التلاميذ إما بإرشادهم إلى موضعها من الكتاب ، وإما بعرضها على سبورة إضافية .

٣ - يقرأ المدرس السورة أو المقدار المحدد للحصة قراءة خاشعة متأنية .

٤ - يطلب إلى بعض التلاميذ قراءتها ، على أن يقرأ كل تلميذ جزءاً محدداً ، ثم يليه غيره مع تكرار هذه القراءة ، وتصحيح الأخطاء فور وقوعها .

٥ - مطالبة التلاميذ بأن يقرءوا قراءة جماعية مع تنظيم القراءة بدءاً ووقفاً ، وللمدرس أن ينوع هذه الطريقة الجماعية فتكون من كل التلاميذ ، ثم من بعض الصفوف بطريقة التناوب .

٦ - يعود بهم المدرس إلى القراءة الفردية .

٧ - شرح السورة شرحاً ميسراً بطريق الأسئلة والمناقشة وعدم الوقوف طويلاً عند اللغويات ، بل يمكن الاكتفاء بفهم أكثرها من السياق .

٨ - للمدرس أن يختبر الناجحين من التلاميذ فيما حفظوه من السورة .

الحديث الشريف :

دراسة الأحاديث النبوية في المرحلة الابتدائية مقصورة في المنهج الأخير على الصفين الخامس والسادس .

ويتبع في دراستها الطريقة التي شرحناها لتدريس القرآن الكريم في هذين الصفين .

العقائد :

تدور موضوعات المنهج حول صفات الله تعالى والإيمان به ، وما يجب له من المحبة والخشية والطاعة ، والإيمان برسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، والطريقة الناجحة في تثبيت هذه العقائد في نفوس هؤلاء التلاميذ هي التي تعتمد على الإثارة الوجدانية ، وعلى شرح تصويرى سهل لبعض الآيات القرآنية التي تتصل بهذه العقائد ، ونفوس التلاميذ في هذه المرحلة مهيأة لتقبل هذه المعتمدات في سهولة ويسر ؛ لأنهم سريعو التأثير والانفعال ، ونجاح المدرس في دراسة هذه العقائد يرتبط بمدى تأثيره في نفوس التلاميذ ، ومدى نجاحه في النفاذ إلى قلوبهم وعواطفهم ، وطريقة البحوث العقلية . والبراهين المنطقية التي تصطنع في هذه الموضوعات لاتسيغها عقول هؤلاء التلاميذ ، وربما أفسدت عليهم ما يحسنونه من متعة روحية وجدانية .

العبادات :

تدور مناهج العبادات في المرحلة الابتدائية حول الوضوء والصلاة بأنواعها المختلفة والصوم والزكاة والحج .

أما الوضوء والصلاة :

فالطريقة الناجحة في تعليمهما إنما هي الطريقة العملية ، وذلك بأن يصحب المدرس التلاميذ إلى مصلى المدرسة ، ويدربهم على الوضوء . بأن يتوضأ أمامهم ، ويطلب من بعض التلاميذ أن يحاكيه بطريق التناوب على أن يقف الباقيون يراقبون هذه العملية . وللمدرس أن يتخذ من بعض التلاميذ الذين يعلم أنهم يحسنون الوضوء قدوة لإخوانهم ، على أن يناقش الباقيين مناقشة تكشف عن الخطأ والصواب في أعمال الوضوء ، وينبغي ألا تشغل الحصص كلها في التدريب على الوضوء . بل يجب أن تشمل كل حصص على التدريب على الوضوء والصلاة معاً ؛ حتى يفهم التلاميذ أن الوضوء وسيلة للصلاة ، وليس عملاً مستقلاً .

وللمدرس قبل ذهابه بالتلاميذ إلى المصلى أن يشرح لهم في الفصل طريقة الصلاة

قبل أن يؤديها عملياً في المصلى ، وله أن يستعين في هذا الشرح ببعض التلاميذ الذين يحسنون أداء الصلاة ، على أن يوجه الباقيين إلى مراقبة ما يعملون ، وهكذا حتى يطمئن إلى معرفة التلاميذ كيفية الصلاة التي سيارسونها عملياً في المصلى ، وتعد المدرسة مقصرة أشد التقصير إذا مرت بالطفل السنان الأوليان وهو لا يعرف الوضوء والصلاة ، أما موضوعات الصوم والزكاة والحج فتعالج بطريق الشرح والمناقشة ، وبخاصة ما يتعلق بحكمها وأسرارها وآدابها .

السير :

المراد بها سيرة الرسل صلى الله عليه وسلم ، وسيرة الأئمة الهداة الذين يجد التلاميذ في سيرتهم مثلاً علياً . وتتبع الطريقة الآتية في تدريس هذه السير .

(أ) التمهيد بالأسئلة والحديث على نمط التمهيد لموضوعات القراءة مثلاً .

(ب) إلقاء السيرة على صورة قصة ، مع مراعاة ما يأتي :

١ - أن تلي القصة على مراحل ، تتناول كل مرحلة جزءاً مستقلاً من السيرة .

٢ - كتابة عنوان المرحلة على السبورة قبل إلقتها أو بعده في غير الحلقة الأولى .

٣ - كتابة الأعلام الهامة التي ترد في ذكر القصة على الجانب الأيسر من السبورة

في غير الحلقة الأولى .

٤ - ترجمه أسئلة إلى التلاميذ في المرحلة التي تم إلقاؤها .

٥ - الربط بين القصة والحياة الحاضرة .

(ج) عقب الفراغ من إلقاء القصة توجه إلى التلاميذ أسئلة عامة تختبر مدى تأثيرهم

بالمواقف المختلفة .

(د) اشترك التلاميذ في استنباط مواطن العظة والعبرة من القصة وتدوين ذلك

موجزاً على السبورة ، وذلك في الفرق العالية .

ويجب أن نلاحظ في تدريس السير ما يأتي :

١ - أن تقتصر من حياة الشخصيات على الجوانب التي تمثل النواحي الدينية والحلقية

والروحية ، وألا نطمس هذه الجوانب بما نقحمه عليها من النواحي التاريخية ، بل ندع

ذلك لموضعه من الحصص الأخرى .

فمثلاً : شخصية عمر بن الخطاب صالحة لدرس في الدين ، وفي الأدب ، وفي

التاريخ ، ففي درس الدين نقصر كلامنا على امتازت به هذه الشخصية من الورع والتقوى والعدل والزهد ، فإذا تناولنا بعض الجوانب التاريخية أو الأدبية ، فإنما نتناولها لتعزيز ما نعرضه من النواحي الروحية ، وندع للمدرس الأدب أن يتحدث عن خطب عمر ، كما ندع للمدرس التاريخ أن يتحدث عن عمر في سياسته وفضله على الدولة الإسلامية .

٢- حينما نتحدث عن صفات صاحب السيرة ، لانسرد تلك الصفات سرداً ، ولا نلقبها إلقاء . بل نجعل ذلك استنباطاً يشترك فيه التلاميذ بقيادة المعلم وإرشاده ، وسبيل ذلك أن يعرض المدرس على التلاميذ بعض القصص من حياة هذه الشخصية يستنبط منها الصفات المطلوبة ، فمثلاً : لايقول المعلم : وكان عمر بن الخطاب عادلاً ، بل يذكر من قصص عدالته شيئاً ، ويدع التلاميذ يصفون عمر بالعدالة . . . وهكذا .

التهذيب :

موضوعه الفضائل وحميد العادات ، وأثرها في تهذيب النفس والخلق ، وتتبع في تدريسه الطريقة الآتية :

- ١- التمهيد على نحو ما سبق في التمهيد للموضوعات العامة .
- ٢- إلقاء قصص قصيرة تهدف إلى الموضوع ، وعرض النصوص الدينية المتصلة به .
- ٣- أسئلة في كل قصة عقب الانتهاء منها ، مع العناية بالمغزى .
- ٤- قصص من التلاميذ تتخلل قصص المدرس ومناقشتها بالأسئلة .
- ٥- تمثيل بعض القصص التي ألقيت .

أساس هذه الطريقة :

رأينا أن الطريقة التي تتبع في درس التهذيب تقوم أولاً وأخيراً على القصة ، وقد شرحنا علة ذلك في البند (٧) من أسس التعليم الديني .

مثال من القصص التهذيبي :

كان سأمى يكتب بقلم الحبر ، فسأل الحبر على يده . ووسخ أصابعه ، فلما رأته أمه ، طلبت إليه أن يغسل يده قبل ذهابه إلى المدرسة ، ولكنه لم يسمع لقرنها ، واكتفى بأن مسح أصابعه بالمنديل ، فتلوث المنديل بالحبر .

وذهب إلى المدرسة وكان الجو حاراً ، فأخرج المنديل يمسح به العرق ، الذي سال على وجهه ، ثم رأى التلاميذ يلتفتون إليه ، ويضحكون عليه ، ويتغامزون به ، وهو لا يفهم لذلك سبباً ، فليس من عادتهم أن يتبعوا ذلك معه ، ولما زادت سخريتهم به ، تجرأ وسأل أحدهم فأجابه بأن وجهه ملوث بالخبر وشكله مضحك ، فأدرك سبب السبب ، وفطن إلى أن هذا من المنديل الملوث ، الذي لوثته أصابعه بالخبر ، الذي سال عليها من القلم ، وكان علاج ذلك كله ميسوراً ، وهو أنه يطبع أمه ويغسل يده .

في هذه القصة الساذجة تعليم للأطفال، وحمل لهم على الطاعة، وعلى اتباع عادة النظافة ، ونعتقد أن هذه القصة - على قصرها - تنجح في غرس هذه العادة أكثر مما تنجح النصائح والمواعظ المباشرة .

مصادر هذه القصص :

تختار هذه القصص من عدة مصادر أهمها :

- ١ - التاريخ ، في سير الأبطال عشرات من هذه القصص التهذيبية .
- ٢ - الواقع ، في الحياة الواقعية مثل كثيرة تعالج على ضوءها الموضوعات التهذيبية .
- ٣ - الخيال ، يستطيع المدرس أن يتخيل أمثلة تهذيبية يعرضها في صورة قصص .

ما يراعى في هذه القصص :

- ١ - يجب أن تكون القصص قصيرة ؛ ليتسع الوقت للمزيد منها .
- ٢ - يجب أن يكون مغزاها واضحاً يفهم في سهولة .
- ٣ - لا مانع من أن تكون بعض القصص حول الرذيلة ، عكس الفضيلة ، التي هي موضوع الدرس .

الفرق بين قصة التعبير وقصة التهذيب :

- رأينا أن القصة مادة طيبة طريقة لكثير من دروس اللغة العربية والدين ؛ فهي مادة للقراءة والتعبير والقواعد والإملاء ، وهي مادة في السير والتهذيب أيضاً .
- وهذه بعض الفروق بين قصة التعبير وقصة التهذيب :
- ١ - قصة التعبير طويلة نوعاً ، وقصة التهذيب قصيرة .

- ٢ - قصة التعبير تقبل الخيال والمبالغة ، وقصة التهذيب لا تقبل ذلك .
- ٣ - قصة التعبير يلتمها المدرس ، وقصة التهذيب يلقيها المدرس أو التلميذ .
- ٤ - في قصة التعبير عناية بتنوع التعبير ، أما قصة التهذيب فلا يبرز المغزى .
- ٥ - قصة التعبير تشغل الحصة ، ولكن قصة التهذيب لا تكتفى وحدها ، بل لا بد من غيرها .

ثانياً : في المدارس الإعدادية

القرآن الكريم :

منهج القرآن الكريم في المدرسة الإعدادية نوعان :
نوع للتلاوة ، ونوع للتفسير والحفظ .

(أ) في آيات التلاوة :

- ١ - يقدم المدرس لهذه الآيات بشرح مجمل ، يتناول فيه أهم أهدافها ، بحيث يترك هذا الشرح في أذهان التلاميذ صورة إجمالية لمعنى الآيات .
- ٢ - يقرأ المدرس هذه الآيات قراءة نموذجية جديرة بالافتداء .
- ٣ - يكلف التلاميذ واحداً بعد آخر القراءة مع التزام صحة التلاوة، وجودة الأداء، وتمثيل المعنى ، والخشوع . وينبغي توزيع القراءة على التلاميذ ، فيتاح لكل منهم نصيب من هذه القراءة في كل حصتين مثلاً .
- ٤ - إذا كان القدر المحدد للحصة طويلاً، يقسمه المدرس وحدات ، ويتلو التلاميذ كل وحدة بعد استماعهم إلى نموذج من المدرس .

(ب) وفي آيات التفسير والحديث :

- يسلك المدرس الطريقة المتبعة في تدريس المحفوظات النظرية .
- ١ - فيمهد لموضوع الآيات بذكر سبب نزولها إذا كان لذلك قصة ، أو بحديث أو أسئلة تهيب أذهان التلاميذ لموضوعها
 - ٢ - عرض الآيات إما في الكتاب وإما على سبورة إضافية .

٣ - قراءة المدرس الآيات قراءة نموذجية .

٤ - قراءات بعض التلاميذ واحداً بعد آخر حتى يحسنوا القراءة ، مع العناية بتصحيح الأخطاء فور وقوعها .

٥ - أسئلة عامة في الآيات مع الاختصار على المعاني الواضحة .

٦ - شرح الآيات وبراغى فيه :

(أ) تقسيم الآيات وحدات .

(ب) الشرح اللغوى .

(ج) مناقشة المعنى العام بأسئلة ، مع تطبيق معنى الآيات على المواقف الحيوية .

٧ - قراءات أخرى من التلاميذ حتى يجيدوا القراءة .

٨ - استنباط ما يفيد استنباطه من الآيات ، وتسجيله على السبورة موجزاً ، على أن يكون هذا الاستنباط من التلاميذ أنفسهم ، بالأسئلة والتوجيه .

٩ - أسئلة عامة في معنى الآيات .

١٠ - يكلف التلاميذ الحفظ في غير حصة القرآن .

الحديث الشريف :

يعالج بالطريقة التى تتبع في تدريس الآيات القرآنية المختارة للتفسير والحفظ .

العقائد :

تدور مناهج العقائد في المدرسة الإعدادية حول موضوعات جديدة تنصل بمزايا الإسلام ، بالإضافة إلى ما سبقت دراسته في المدرسة الابتدائية ، وإذا كنا قد اعتمدنا على الإثارة الوجدانية في التدريس لتلاميذ المرحلة الابتدائية ، فإننا لن نتخلى في المرحلة الإعدادية عن هذه الإثارة ، ولنا - كذلك - أن نستعين بالنص الدينى الذى يساعد على تثبيت هذه العقائد ، ونستطيع في هذه المرحلة أن نربط بين الفهم العقلى والنص الدينى ، وأن نحيل التلاميذ على بعض المواقف الحيرية : ليدركوا أسرار الدين الإسلامى وفضله في تنظيم الحياة وإسعاد البشر .

العبادات :

يتبع في تدريسها ما اتبع في المدرسة الابتدائية مع معالجة التفصيلات الجديدة ، ومع الاختلاف إلى المصلى كلما دعت الحاجة .

السير والقصص :

يتبع في دراستها ما اتبع في المدرسة الابتدائية ، مع التوسع في الأفكار ، ونواحي الاستنباط ، وأوجه الربط بالحياة ، وتمثيل الشخصية المدروسة تمثيلاً دقيقاً يكشف عن مزاياها ، ويغري بالافتداء بها .

التهذيب :

تسير دراسته على الطريقة القصصية التي أشرنا بها في موضوعات التهذيب للمدرسة الابتدائية ، مع العناية بمغزى القصص وتدريب التلاميذ على إخضاع ما يرون في المجتمع للنقد والحكم ، وتوجيههم كذلك إلى ما يمس موضوع الدرس من تصرفاتهم الخاصة في المجالات المتعددة التي يظهرون فيها .

ثالثاً : في المدارس الثانوية

القرآن الكريم :

يتبع في التدريس ما اتبع في المدرسة الإعدادية في آيات التلاوة وآيات التفسير والحفظ . ونوصي هنا بأن يكون المصحف الشريف هو مرجع التلاميذ في جميع حصص القرآن .

فمن واجبنا أن نوثق الصلة بين التلميذ المسلم وكتاب المسلمين ، ومن ناحية أخرى ، للمصحف الشريف معالم خاصة به . وله في النفس انطباعات روحية سامية ، ومن أجل هذا كان من الضروري صرف المصحف لطلاب هذه المرحلة ، وتدريبهم على قراءة القرآن بهذا الخط العثماني ، فلعلهم في مستقبل حياتهم يعودون إلى المصحف للاستمتاع بقراءته ، وإلشباع عاطفتهم الدينية ، فلا يلقون صعوبة في قراءته .

الحديث الشريف :

ويتبع في درسه ما اتبع في المدرسة الإعدادية ، مع التوسع في الشرح والتطبيق على مشكلات الحياة وأحداثها .

البحوث الإسلامية :

هي طائفة من المعارف الدينية تساعد الطلاب على تثبيت العقيدة وعلى مقاومة التيارات الإلحادية ، ومغريات الخروج على القيم الروحية ، وعلى المزيد من فهم أسس المجتمع ، والعلاقات بين الناس ، وعلى تعرف العالم الإسلامي ، وما بين أبنائه من صلوات .

وليس معنى هذا أن تكون طريقتنا في معالجة هذه البحوث طريقة السرد والإلقاء ، أو أن تكون غايتنا من الدرس مساعدة التلميذ على التحصيل والإلمام ، بل يجب أن تتمثل في طريقة التدريس المبادئ الآتية :

١ - أن المعارف الدينية لا قيمة لها في ذاتها ، وإنما ترحى ثمرتها إذا ترجمت إلى سلوك عملي يظهر أثره في حياة مستقيمة رشيدة .

٢ - أن تلاميذ هذه المرحلة ، لا يكتفون من هذه المعارف الدينية بالتصور والفهم الجرد ، بل يطلبون تفسيراً عقلياً ، وتعليلاً صحيحاً للأسس التي يبنون عليها معرفتهم .

٣ - أن عرض هذه الموضوعات مشفوعاً بالأسس التي تقوم عليها ، والمنطق الذي يعززها ، والقيم التي ترحى من دراستها - كل ذلك يؤدي إلى أن يطمئن التلاميذ اطمئناناً عقلياً للتعاليم الإسلامية .

٤ - أن هذه المعارف تنجح في تكوين العاطفة الدينية ، إذا أقيمت العقل . وأثارت الوجدان ، وعن طريق هذه العاطفة يسهل توجيه التلميذ إلى الخلق القويم . والسلوك المستقيم .

٥ - أن التلاميذ في هذه السن يجتازون مرحلة من أدق مراحل العمر . تتجاذبهم ألوان من مغريات الحياة براقه باهرة ، وتبث حولهم تيارات فكرية خادعة ، واتجاهات مذهبية فاسدة مموهة ؛ وهم لذلك في أشد الحاجة إلى تحصينهم وتقوية الوعي الديني في نفوسهم ، وإلى مزيد من الفهم المستنير . والتحليل الدقيق ؛ حتى يتكون فيهم الوازع الديني ، ويربى الضمير الحى ، فيبسط سلطانه عليهم فيما يعتقدون . وفيما يأتون أو يدعون .

التعليم الدينى المدرسى فى الميزان

لانريد فى شرح مفهوم هذا العنوان أن نعيد القول فى رسم الغايات السامية التى بهم التعليم الدينى بتحقيقها ، ولا أن نصور الأهداف القريبة والبعيدة لما يبذل من جهد ومن إخلاص فى التعليم الدينى بالمدارس ، لسنا فى حاجة إلى هذا التصوير ؛ لأن تلك الأهداف قد شخّصت معالمها ، ووضح السبيل إليها ، فيما أسلفنا من القول عن وظيفة الدين فى حياة الفرد وحياة المجموع ، وفى تحديد الغاية من التعليم الدينى ، وفى غير ذلك من الموضوعات .

ولكننا نقصد من وراء هذا العنوان أن نعرض النتائج التى حصلناها من التعليم الدينى بالمدارس ، وأن نرسم المستوى الذى وصلنا إليه فى الآفاق الأساسية لهذا التعليم ، وأن نقوم فى أبنائنا الطلاب بالمراحل التعليمية المختلفة مدى ما انطبوعوا عليه ، وأخذوا به من المبادئ القويمية ، والمثل الدينية الرفيعة ، ومدى ما تأثر به سلوكهم الحيوى من التعاليم الدينية ، التى حفلت بها المناهج ، وقامت عليها جهود المعلمين .

ولعل أقرب الطرق إلى ما نقصد إليه أن نلقى هذا السؤال الذى يلحّ علينا فى كثير من المناسبات : هل نجح التعليم الدينى فى تحقيق رسالته ؟ وما مدى نجاحه ؟ وماذا قام فى سبيله من العقبات ؟ وما أثر هذه العقبات فى تعويق سيره ، دون الوصول إلى الهدف المنشود ؟

وإنصافاً للحقيقة ، وإيثاراً للصدق والصراحة ، نقرر أن هذا التعليم لم يحقق كل الآمال المعلقة عليه فى أداء الرسالة السامية المنوطة به ، ولسنا فى هذا الحكم متعجنين ولا متحاملين . كما أننا لانريد أن نغضّ من شأن الجهود التى تبذل فى هذا التعليم ، من حيث المناهج والكتب وغير ذلك من مقومات الدراسة الدينية .

ولعل أملنا الواسع ، وورغبتنا الصادقة فى أن ينجح هذا التعليم النجاح المطلوب ، ويؤدى رسالته فى تنشئة أبنائنا تنشئة روحية خلقية ، تعصمهم من الزلل والانحراف — لعل ذلك هو الذى يدفعنا إلى أن نقرر أن النتائج التى أثمرها التعليم الدينى أقل مما ينبغى ، وما زلنا نطمح فى المزيد من آثاره ، واجتناء ثماره .

ومن جهة أخرى لايسعنا أن نغضّ البصر عن طائفة من الملاحظات التى تشين سلوك

الطلاب ، وتقوم دليلاً على انسياقهم مع الميول الجارحة ، والنزوات الحمقاء ، وتحررهم المطلق من قيود التكليف الدينية ، والمبادئ الخلقية :

(ا) في المدرسة :

نرى كثيراً من الطلاب لا يتخرجون من إلتلاف المنشآت ، والعبث بالأثاث ، ومنهم من تمتد يده في خلسة وخسة ودناءة إلى كتب غيره وأدواته فيسرقها ، ومنهم من تبلغ به الفحة حداً مزرياً فيتعدى على المدرسين بالقول أو الفعل ؛ وعلى حيطان المدرسة ، وبخاصة في دورات المياه نرى كتابات بذيئة ، ورسوماً فاضحة ، تدل دلالة قاطعة على أن الأيدي التي خطتها قد تحركت عن نفوس آثمة لم يزرعها ضمير حي ، وطباع فاسدة لم يردعها وازع ديني ، وفي الأعمال المدرسية نرى استهانة بالواجب ، وميلاً إلى الفرار من المدرسة بطرق غير مشروعة ، وعبثاً بمواعيد الدراسة ، وفوضى في التجمع والتحرك ، وجرأة على التزوير في توقيعات أولياء الأمور ، وجنوحاً إلى التهرب من المسئولية ، واعتداء على حرية الغير في البحث والسؤال ، واجترأ على الغش في الامتحانات ، إلى غير ذلك ، وهو — مع الأسف — كثير .

(ب) وفي البيت :

نرى الأثرة والكذب والتدليس ، والميل إلى الإزعاج والإفلاق ، كما نرى الفوضى فيما يتصل بالمأكل والملبس والنوم ، ونرى استباحة حرية الجيران وحرمتهم برفع صوت المدياع ، واختلاس النظر الأثيم إليهم ، هذا إلى العبث بالمباني والمصاعد ، وتشويه الجدران بالعبارات البذيئة يعرضون فيها بالغير ، وإن منهم من يرفع صوته في وجه والديه ، ويأثي بحركات تتحدى سلطان الآباء ، وتعصف بتقاليد الأسر المهذبة المهيبة .

(ح) وفي المركبات العامة :

يهولك ما ترى من العبث بالنظام المطلوب في الصعود والنزول ، واستخدام القوة الجسمية وقت الزحام ، وامتھان شعور الركاب بالأصوات المرتفعة ، والكلمات الجارحة ، والتجرد من الذوق والمجاملة حيال الشيوخ الكبار أو المرضى أو السيدات ، ويتجرأ بعضهم فيغالط الوجه الفنى

العامل بتقديم اشتراك مزيف ، أو قديم العهد ، ويشيرها مشاجرة عنيفة ، لاتسفر إلا عن اتهام المدارس بالإهمال والتقصير في تهذيب هؤلاء المردة الشياطين .

(د) وفي الطرق العامة :

ترى بعض الطلاب يمشون في تخنث ومجانة وتهافت ، ويشير امتعاضك ألا ترى فيهم غير الفاتر المائع ، والرخو الخليع ، ويؤذى سمعك تبادل عبارات السباب والشتائم بينهم على مسمع من المارة ، ويقذى عينك رؤية بعضهم يبصق على الأرض ، أو يلقي عليها القاذورات ، أو يوجه النظرات المرية إلى السيدات ، أما الحدائق والمنتزهات العامة فيا ويلها من هؤلاء العابثين ، يقطفون الأزهار ، ويتلفون الحضرة ، ويشوهون كل ما تقيمه الدولة من معالم الجمال ؛ إمتاعاً للنفس ، ورفعاً لمستوى الذوق العام .

(هـ) وفي مواطن التجمع :

تسمع صغيراً مزعجاً ، وترى شغباً ممقوتاً ، وتعصباً ذميماً ، ومشية خليعة يبرأ منها خلق الشباب .

ورب قائل يقول : أليس من الإسراف أن نلقى التبعة في جميع هذه الظواهر البيغضة من سلوك الطلاب على التعليم الديني بالمدارس وتهمه بالعجز والقصور ، وتجاهل المؤثرات الأخرى ؟

ونحن نقول : إن المناهج الدينية ، بما حفلت به من موضوعات التهذيب ، وأمهات الفضائل ، ومن سير الأئمة الصالحين ، الذين تفيض حياتهم بالمثل الرشيدة ، والقيم الرقيقة ، ومن مبادئ العقيدة النقية الصافية ، ومن النصوص الدينية الهادية — كل ذلك كفيل بتهذيب النفس ، وتقوم السلوك ، ومحاربة هذه النزوات أو القضاء على أكثرها ، لو أننا اتجهنا في التعليم الديني اتجاهاً جديداً سديداً .

وقبل أن نرسم هذا الاتجاه يجمل بنا أن نوضح الأسباب التي عاقت التعليم الديني بالمدارس عن إدراك الغايات المنشودة في تنشئة الطلاب تنشئة مهذبة ، يسودها الخلق الحميد ، والسلوك القويم .

قليل من البحث والنظر يضع أمامنا حقيقة بارزة ، هي أن من هذه الأسباب ما يناوئ

التربية الدينية ، ويشنّ عليها حرباً خارج المدرسة ، ومنها ما هو آفة للتعليم الديني في المدرسة نفسها :

(١) ففي خارج المدرسة :

١ - نعلم أن كثيراً من الأسر لا تحفل بالمبادئ الدينية ، ولا تقيم لها وزناً ، فلا تقيم الشعائر الواجبة ، ولا تلتزم بالسلوك القويم ، وربما سادها الشقاق والنزاع ، وغلب على أفرادها الأثرة والجشع ، والتحرر من تبعات الواجب ، وهذا المظهر السيء ستنعكس حتماً آثاره على الأبناء الذين يشبون في هذا الوسط الوضيع ، وهذه البيئة الاجتماعية الفاسدة ، فكيف يتأتى للتعليم الديني بالمدرسة أن يصلح من شأن هؤلاء الأبناء ، ويقاوم هذه المعاول الهدامة ، التي تلاحق هذه الأجيال الناشئة ، وتراوحهم وتغاديبهم في معظم أوقاتهم ، وهي في نظرهم موجهة من أصحاب السلطان عليهم ، ومصدر القدوة لهم .

٢ - وتلاميذنا يعيشون في مجتمع رحب الجنبات ، حافل بألوان الإثارة والإغراء ، يسوده غالباً عرف فاسد ، يستمد أصوله وقواعده من الأفكار السقيمة ، يبثها المصلولون المنحرفون ، أو الافتتان بما يدعيه المغرضون من زخارف المدنية وبهرج التجديد ، أو الاقتداء الأعمى بكل ما يبهر العين دون تبصر أو تفكير .

ويساعد على ذلك ما يشعر به ذو النفوس الضعيفة والقلوب المريضة من الضيق بأثقال الواجبات ، أو تبعات الفرائض ، التي تحمل على معالجة المكار ، أو الحرمان من اللذات .

٣ - ومع أن الدين تقوم بعض قواعده على نظرية الثواب والعقاب ، والترغيب والترهيب ، لا يرى الفرد آثار هذه النظرية ملموسة سافرة في حياته الدنيا ، ولا يحس لها كياناً شاخصاً يتصل بحياته اتصالاً مباشراً ، ويطالعه عياناً ومشاهدة ، ومن ثمّ يتأدى الفرد في غيه وضلاله ؛ لأن شيئا من الثواب المادي ، أو العقاب المادي لا يصيبه فور عمله ، ولا يناله إثر تصرفاته ، ولأن قدرته على التعامل في مجتمعه لا يدركها غالباً فتور أو تعويق ؛ لأن الدين ليس نوعاً من المهارات التي تكتسب من المواد التعليمية الأخرى . والتي تتخذ ذريعة لكسب العيش ، وقضاء المصالح الحيوية .

ويؤيد ذلك ما نراه في بعض الأسر الحكيمة التي تأخذ أبناءها بالحزم والشدة في تأدية

الفرائض ، والتمسك بالخلق القويم ، وتتابع مراقبتها لهم ، ومحاسبتها إياهم على كل ما يصدر عنهم من قول أو فعل ، إن هؤلاء الأبناء — بدافع من الخوف والرهبة — يتقون غضبة أوليائهم في الأسرة ؛ فتستقيم أعمالهم ، وتحسن أخلاقهم ، وهم بهذه الرقابة اليقظة الواعية ينشئون مثلاً صالحة ، آمنين الانحراف والضلال .

(ب) وفي المدرسة :

١ — تبدو آفة التعليم الديني في أننا نعتبر الدين مادة دراسية لها خطتها ومناهجها وكتبها وامتحاناتها ، وأن الغاية منها إنما هي الحفظ والتحصيل والفهم والإلمام ، وأن التلاميذ يتفاضلون فيما بينهم في الدين بمدى ما بينهم من فروق فيما حفظوه ، وما ألموا به ، أما السلوك وأما الخلق فذلك لاحساب له في موازين التقويم .

وهذه النظرة السطحية الخاطئة كانت آفة التعليم الديني في المدارس ؛ لأن الدين — فوق ذلك — روح وممارسة عملية للسلوك الرشيد .

ولانقصد بكلامنا هذا أن نعوض من شأن المعارف الدينية ، أو أن نتقصص من قدرها وقيمتها ؛ فإن لها — ولا شك — أثراً قوياً في التكوين الديني للناشئين ، لها أثر قوى في رياضة النفوس ، وإلانة القلوب ، وتهذيب الوجدان ، وفي سلامة العقيدة ، وصحة العبادة ، ولكننا نريد أن نقول : إن هذه المعارف الدينية — على اختلاف أنواعها وألوانها — إذا لم تنعكس آثارها على التلميذ سلوكاً قوياً ، ووجداناً نقيماً صافياً ، وضميراً حياً ، ولفظاً مهذباً ، وعملاً حميداً ، وممارسة رشيدة للفضائل والآداب الدينية — إذا أخفقت تلك المعارف الدينية في أن تصل بالتلميذ إلى هذه المستويات السلوكية ، فإننا حينئذ لانستطيع أن ندعى أننا فعلنا شيئاً مجدياً في التربية الدينية .

من آفة التعليم الديني أننا نعتبره مادة دراسية لها زمن محدود في الخطة، هو حصّة أو حصتان في الأسبوع ، ويظن كل من المدرس والتلميذ أنه بانتهاء هذه الحصّة أو هاتين الحصتين قد فرغ من مهمته الدينية ، وأن واجبه الديني قد انقضى في هذا الأسبوع ، وهذا فهم خاطئ ؛ فإن الدين — بطبيعته ويجوهره — عملية لها استمرار وامتداد واتصال ، لاتتقيد بزمن محدد ، ثم يتخلى عنها . إنه استئارة دائمة للرغبة في الثواب ، وبعث دائم للخوف من العقاب ، واستحضار كامل لمعانى الهدى وما تتطلبه من طاعة وانقياد ، وتدبير

واع لتزوات الضلال ومغالبتها بالتوقى والحذر وكبح الجماع .

من آفة التعليم الدينى أننا نعتبره مادة دراسية ، لها مكان محدود تتردد فيه أصدااء التعاليم الإسلامية ، هذا المكان هو حجرة الدراسة التى تحدها جدران أربعة ، ويحمل بابها لافتة من الورق أو المعدن ، هذا هو المجال الرسمى للتربية الدينية ، فإذا ترك التلاميذ هذه الحجرة ، تركوا وراءهم هذه المعارف الدينية ، وهذه التعاليم الإسلامية هائمة ساجحة ، لاتصحبهم إلى مسجد المدرسة ليصلوا ، ولا تصحبهم إلى الفناء حين يلعبون ويمرحون ويعبثون ، ولا تصحبهم فى الرحلات التى يتاح لهم فيها الحرية والانطلاق ، ولا تصحبهم إلى الحفلات التى تتسع لهم فيها فرص المتعة والبشر والابتهاج ، ولا تصحبهم إلى الملعب الذى يحتشدون فيه للتفرج برؤية المسابقات والمباريات ، ولا تصحبهم فى وسائل المواصلات ، حيث يختلطون بجماهير المواطنين ، ويبدون أمام رأى العام نموذجاً للشباب الذى هو موضع الأمل ، ومناطق الرجاء ، لاتصحبهم إلى أى موقف من هذه المواقف الحيوية الطبيعية ، التى يمارسون فيها نشاطهم وحريتهم على الفطرة والسليقة .

فالعزلة إذا قائمة — مع الأسف — بين التعليم الدينى النظرى داخل الفصول ، والسلوك العملى خارج الفصول ، ون الطبيعى أن يكون هذا السلوك نتيجة حتمية مباشرة لتلك التعاليم الدينية . ومع هذا لسنا من المتشائمين الذين يرون أن هذه العزلة مطردة فى جميع التلاميذ ؛ فإننا — والحمد لله — ما نزال نرى نماذج طيبة فى بعض أبنائنا التلاميذ ، ولكن مما يؤسف له أن هؤلاء التلاميذ مساكين ؛ مساكين لأنهم قلة ، ومساكين لأنهم يبدون وسط زملائهم كالغرباء ، ومساكين لأنهم موضع التندرّ والتفكك والتغاوز والتناز ، ما يكاد طالب فى مدرسة يظهر بين إخوانه بالصلاح والتقوى والغيرة الدينية ، حتى تنوشه الألسنة السليطة الحادة ، فى جد مرّ ، أو مزاح مرذول ثقيل .

٢ — وكثير من المدارس لايعنى بإشاعة الروح الدينية فى المدرسة ، وإذا كنا نفهم من كلمة « الروح » فى معرض الحديث عن السيامة ، أو الجندية ، أو الرياضة ، أو التربية ، أو غير ذلك ، حين نقول : روح سياسية ، أو روح عسكرية ، أو روح رياضية ، أو روح تربوية — إذا كنا نفهم من كلمة « روح » فى هذه الاستعمالات الطريقة أو الطابع أو الأسلوب ، فإننا نفهم من الروح الدينية فى المدارس معنى أهم وأعز وأسمى ، ذلك المعنى هو الذى نفهمه من الروح التى هى قوام الحياة فى الكائن الحى ، وإننا حين نعالج

الدراسة الدينية في المدارس دون اهتمام بهذه الروح الدينية نشيئها في الجو المدرسي ، فإنما نعالج جسداً هامداً خامداً ، لآحرك فيه ، ولا انبعاث له ؛ لأنه لا حياة به ، ولا روح فيه .

ولكى نشيع الروح الدينية في المدرسة ، ولكى نرسم معالم الانجاه السديد في التعليم الديني بالمدارس ، بعد ما أسلفناه من القول في تحديد عناصر المشكلة وأبعادها ، وما قررناه في شرح المقومات الأساسية لنجاح هذا التعليم — يجمل بنا أن نركز القول في طائفة من الرصايا ، عرضنا كثيراً منها فيما سبق ، وعلينا أن نؤمن بها ، ونهتدى بهديها في معالجة التعليم الديني بالمدارس ، ومن هذه الرصايا :

١ — أن تفرص المدرسة — جادة مخلصه — على أن تحاط دروس الدين بالإجلال والتوقير ، وأن نخني منها ظواهر الاستخفاف والاستهتار .

٢ — أن يزيد احتفال المدارس بالشعائر الدينية ، وإقامتها بصورة لائقة كريمة ، بريئة من المظهرية والرياء .

٣ — أن تتابع المدرسة بعيون ساهرة يقظة سلوك الطلاب ، وتراقبهم مراقبة مستمرة واعية ، في جميع المجالات والمواقف ، وأن تبادر بالحزم والشدة كل من يشذ أو يجيد عن الجادة بالقول الساقط ، أو الفعل الذميم .

٤ — أن تعمل المدرسة دائماً على توفير صور القدوة الحسنة للطلاب .

٥ — أن ترصد جوائز قيمة للطلاب الذين يمتازون بسمو أخلاقهم ، ويظفرون بشناء المدرسة عليهم ، وتقدير العاملين فيها لحميم سلوكهم .

٦ — أن تزيد عناية المدرسة بالإذاعة الدينية ، وما يلقي فيها ، وأن يراقب التلاميذ في وقت هذه الإذاعة ، وأن تكون المادة التي يستمعون إليها حية قوية التأثير ، يجدون فيها العلاج الدينى لما يصادفونه من مشكلات دنيوية ، وما يستشعرونه من أزمات نفسية .

٧ — أن يتمثل دائماً في تصرفات المدرسة اتجاهها إلى التنشئة الدينية على أنها تربية النفس والروح ، وتعهد الخلق والضمير ، وتكوين الوجدان الدينى ، أكثر من اتجاهها إلى قصر الجهد الدينى على معالجة المعارف والمعلومات بالإلقاء والتلقين .

٨ — الاهتمام بهذه التربية ، وهذا التعهد فيما يسمى بالنشاط المدرسى في المجال الدينى ، وقد عقدنا — في موضع آخر من هذا الكتاب — باباً خاصاً بهذا الموضوع .